



«تضع البشرية بالضرورة فقط تلك المعضلات امامها التي يمكن ان تحلها، لأن المعضلة نفسها تظهر حينما تكون الشروط المادية لحلها قد توفرت او تكون في عملية التكون»
ماركس

طريق انتصار انتفاضة أكتوبر

بعد عام من انطلاقها

القسم الأول
(الجزء الخامس)

مؤيد احمد

لانبثاق نظام حكم آخر وسياسة أخرى وتنظيمات وأحزاب أخرى تكون مرتبطة بالجماهير المنتفضة وبجمهور الكادحين والمهمشين. غير ان ضعف الوعي السياسي ونقص الاستعداد التنظيمي للمنتفضين والتشتت في صفوفهم لم يدع لهم المجال للتفكير بالسلطة البديلة، واكتفوا بالدعوة الخاطئة للابتعاد عن كل تنظيم وكل حزب وكل سياسة، هذا في الوقت الذي كانت الانتفاضة هي نفسها أرقى أشكال العمل السياسي والتنظيمي. فاكتفوا بدائرة إدارة وتنظيم حياة الجماهير الحاشدة في الساحات وإدارة الأعمال المتعلقة بالإسعافات والأعمال اللوجستية. ان النقاشات السياسية والحوارات العامة داخل أوساط المنتفضين وانتعاش الأدب والشعر الشعبي الثوري والفن والرسوم واللوحات الثورية وجمالية التعبير الفني للملاحم البطولية للانتفاضة وضحاياها، كان بمجمله يعطي الاندفاع والأمل والتطلع الى مستقبل مشرق. وبالرغم من هذه النشاطات ودورها المؤثر، كانت الانتفاضة تعاني من نقص التحرك لتنظيم صفوفها والعمل على امتدادها الى المناطق والأحياء و نيل درجة من رؤية مشتركة حول لائحة سياسية ثورية والمبادرة بتأسيس السلطة البديلة.

انتفاضة أكتوبر هؤلاء من صفوفها ومن الحراك السياسي الاحتجاجي، ان بقاء الصديريين في ساحات الانتفاضة تدلى الى دور طفيلي يعتاش على دم وجسد الانتفاضة الحي.

ان الانتفاضة، وبحضور مئات الآلاف من المنتفضين والمنتفضات في الشوارع والساحات الرئيسية في مدن وسط وجنوب العراق، وتصديهم للقمع والهجمات الميليشية وللأجهزة القمعية للنظام، كانت بالفعل حربا ذات جبهات واسعة. وهي لم تحمل السلاح خوفا من إفلات الأمور من أيديها وتكرار سيناريوهات سوريا واليمن، ولكن قاومت بزخمها الجماهيري وببسالة قل نظيرها أمام الرصاص الحي والغاز المسيل للدموع. لقد كانت هذه القوة الجماهيرية سلطة حقيقية متواجدة داخل الساحات والشوارع، ولكنها لم تكن منتظمة ولم تؤسس مجالسها ولجانها للملئة قواها وتوجيهها وتنظيم نضالها المتشعب. بالرغم من ذلك كانت قد أظهرت للعالم بانها سلطة فعلية بديلة وممكنة ومحل دعم العمال وأكثرية الجماهير على الصعيد البلاد.

الانتفاضة، بشعار «الإطاحة بالنظام» وسحب الثقة من جميع الأحزاب الحاكمة وانتخاباتها وبرلمانها، وازدائها حتى بمصطلح الأحزاب ووضعها في رديف اللصوصية والقمع والفساد، كانت قد خلقت الأجواء الفكرية والسياسية

لم تستطع الانتفاضة، نتيجة لضعفها السياسي والتنظيمي والفكري، من ان تنظم نفسها بالشكل المطلوب وتؤسس أدوات حكمها وتعمل بمثابة سلطة بديلة. ولم تستطع ان تزيح سلطة وسيطرة أحزاب الإسلام السياسي وميليشياته عن كاهل الجماهير في الأحياء والمناطق. غير إنها وجهت لهم ضربة قوية في الساحات والشوارع وعلى الصعيد العام وفضحت جوهرهم الحقيقي المعادي للانتفاضة.

ان التيار الصديري والحزب الشيوعي العراقي المتحالف معه، أجهزا على احتجاجات ٢٠١٥ وما تلتها من احتجاجات، ووقفا منذ البداية موقفا معاديا للانتفاضة أكتوبر ودعيا الجماهير الى عدم المشاركة. فانفضح أمرهم بشكل مخجل وتهمشت مكانتهم في الحركة الاحتجاجية والانتفاضة وسوف لن يكون بإمكانهم العودة إليها وإعادة التاريخ الى الوراء. لم يبق لهم خيار غير الدخول خلسة في الانتفاضة وبدون أي خجل، وهذا ما فعلوه عند توهج شرارة انتفاضة أكتوبر، بغية احتوائها من الداخل، ومن ثم قيام الصديريين، أصحاب «القبعات الزرق»، بأعمال البلطجة ضد المنتفضين في الساحات على غرار ما يمارسونه من قمع وترهيب وحشي ولحد الآن في الأحياء والمناطق الواقعة تحت سيطرتهم. لقد أخرجت

ضرورة التنظيم وفاقه... اتحاد الطلبة أنموذجاً



أخرى، كما حصل بأعوام ٢٠١١ و ٢٠١٥ و ٢٠١٨، أو قد تكون الفوضى هي الطريق الآخر، فسلطة الإسلام السياسي متمسكة بقوة بالسلطة، ولا يبدو ان هناك ادنى تنازلات «قانون انتخابي عادل، محاكمة الفاسدين وقتلة المتظاهرين، حل الميليشيات»، والمنفضين مصرون على الاستمرار بالتظاهر والاحتجاج، وهذه المعادلة لن تستمر طويلاً، بالنسبة للطرف المحتج. في تاريخ الممارسات الاحتجاجية، لم يكن دور الطلبة غير داعم للحركات والتظاهرات والانتفاضات، ومطالبهم دائماً تتلخص بالإصلاح، فهذا ضمن بنية تفكيرهم السياسي، وخصوصاً بعد انضمام الحزب الشيوعي العراقي وسكرتيه «رائد فهمي» الى مسيرة الاتحاد، ودخول بعض الإسلاميين بقيادة الاتحاد، وهذا يؤكد إصلاحيته، لهذا فإن اتحاد الطلبة سوف لن يلبي طموحات المنتفضين، المطالبة بإسقاط النظام، والذي سيتقاطع مع الجماهير، عاجلاً ام اجلاً، بالتالي فانفضاضة أكتوبر، سوف تبحث لها عن بدائل أخرى، وهذه البدائل ستجدها في ذاتها، في جماهيرها، التي يجب عليها ان تنظم قواها، كما فعل اتحاد الطلبة، الذي أصبح قوة طلابية رائعة، دون ذلك فإن ساحة التحرير ستضحي متحفاً مفتوحاً، ومزاراً للمنتفضين، يعيشون فيها ذكرياتهم.

الساحة، قوته تأتي من تنظيمه العالي، وانضباط افراده ومحبيه.

الان لنلقي نظرة مرة أخرى على الساحة، لكن من جانب آخر؛ شببية الساحات يحدهم الامل بإسقاط نظام الإسلام السياسي، لا شك في ذلك، لكنهم يعانون التشتت والتشظي، فرغم جمعهم المليونية، الا انهم يعيشون افراداً، فلا توجد أي مجموعة منظمة، بالتالي فإن الإحباط والانسحاب يسيطر عليهم، فتضحياتهم تضيق هباء. تكونت داخل الساحة مجاميع شببية رائعة، في بداية الانتفاضة، لم يكن هناك شيء اسمه «اتحاد طلبة»، الطلبة كانوا يتجمعون في خيم متفرقة، قد تكون التي داخل حديقة الامة هي الأبرز، كان لديهم ميل قوي للتنظيم، بمقابل ذلك كانت هناك مجاميع أخرى، «الدكلاوي، الشباب الاحرار، وغيرهم» لم يكتب لهم النجاح، مع انهم كانوا منضبطين واقوياء، هناك أسباباً كثيرة لذلك، لسنا في معرض الحديث عنها، لكن ما اثبتته التجربة ان البقاء للمنظمين. تستطيع هذه السلطة ان تمنح التظاهرات سنوات أخرى، وهي تعلم انها لن تكون مؤثرة، بل ستوفر لها الحماية، ومن الممكن ان تدعمها، طالما انها تبقى «محصورة» في أماكن معينة، وغير منظمة، بدون جهة تعبر عنها او تتكلم بأسمها، بدون اهداف واضحة ومحددة، بدون افق وبرنامج عمل واضح ومحدد، بدون سياسة واستراتيجية معينة، بدون قيادة جماعية لها، السلطة ستكون في مأمن من كل خطر، بل ستتججج بأن لديها «ديموقراطية»، وأنها تحمي التظاهرات، وحق الناس في التظاهر. يمكن التنبؤ بأن الانتفاضة، إذا بقيت على وضعها هذا، ستخفت شيئاً فشيئاً، دون ان تحقق ما تطمح له الجماهير، مع بقاء عناصر الازمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد تتجدد مرة

مر عام على انتفاضة الأول من أكتوبر ٢٠١٩، وقد شاركنا في احياء هذه المناسبة، كانت هناك استعدادات قبل الذكرى، فالشباب والشابات انتشروا في ساحة التحرير، قسم ينظف الشوارع ويرفع النفايات، وقسم بدأ يعيد تشكيل اللوحات وصور المضحين من الشببية، وزينت بعض الخيم؛ كانت هناك حركة دؤوبة من المنتفضين، كأنهم يعدون العدة لكرنفال فرح، او ليلتقوا بمحبيهم، ويعيدوا معهم ذكريات مؤلمة ومحزنة في جانب منها، وذكريات جميلة ومفرحة انها جمعهم وعرفتهم على بعضهم، لم تغفو عيون الموجودين في الساحة، كانوا يترقبون طلوع الفجر، الجميع ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي كلمة «غدا موعداً، ننتظركم». حل الصباح، توافد الى الساحة محبيها، رفعوا اعلامهم وشعاراتهم، بدأت اهازيجهم تصدح، يأخذون «السيلفي» فيما بينهم، يقفون عند صور المضحين، يستذكروهم بدموع وحزن حقيقي صادق، يقفون امام المطعم التركي، الذي احتلته قوى وميليشيات السلطة، يستذكرون كيف انهم دفعوا ثمناً غالياً للسيطرة عليه، ودفعوا ثمناً اخر بعد احتلاله من قبل الميليشيات، هذه الميليشيات التي تراقب وترصد كل حركة من المنتفضين، الجميع يراهم وهم يراقبون المتظاهرين من خلال بناية المطعم التركي، او دس عناصرهم بين صفوف المتظاهرين، فهم يتقاسمون المعلومات مع بقية فصائل السلطة. ثم بعد ذلك كان الجميع يترقب وصول «اتحاد طلبة بغداد» الذي كعادته يتجمع امام وزارة التعليم، لينظم صفوفه، ولينطلق بعدها الى ساحة التحرير، بهتافات واهازيج وقرع للطبول، فهو يعلن عن قدومه بشكل رائع ومبهج، مشكلاً ازعاجاً، بل رعباً داخل صفوف الميليشيات وعصابات السلطة، المتواجدة داخل